

خطبة : خطر المخدرات

أعدّها :

د. عبد الله المعيدي

عباد الله :

لقد وجّهت الشريعة الإسلامية أفرادها للمحافظة على عقولهم، وشددت على صيانة العقل وحمائته من كل ما يخل به أو يتسبب في إزالته، كما أكدت على وجوب حفظ الضرورات الأربع الأخرى: الدين والنفس والعرض والمال، وإذا حفظ المرء عقله وحافظ عليه، وصانه عن كل ما يחדشه أو يغيره سهل عليه القيام بما كلف به، وفهم الخطاب الموجه إليه، وقام به على أكمل وجه، فيحفظ دينه، ويحافظ على نفسه، ويستبسل في الدفاع عن عرضه، ويحرص على إنفاق ماله في الوجوه المشروعة. أما إذا أهمل عقله وضّيعه واستعمله فيما لا ينفعه فإن انحرافه عن جادة الصواب قريب، ووقوعه في مزالق الرذيلة وشيك.

ولهذا فقد أكدت الشريعة على حرمة المسكرات وحرمت أم الخبائث والآثام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]، وقال أنس رضي الله عنه: لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيتها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له. ومثله روي عن ابن عمر عند أبي داود وغيره وهو حديث حسن. وفي مسند الإمام أحمد قال ﷺ: ((مدمن الخمر إن مات بعثه الله كعابد وثن)) ورجاله رجال الصحيح، وفي صحيح مسلم قال ﷺ: ((إن على الله عز وجل عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال))، قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: ((عرق أهل النار أو عصارة أهل النار)).

عباد الله ..

إن العبث بالعقل وإفساده جريمة كبرى تعد من أفظع الجرائم.

ومن أعظم الوسائل التي تفسد العقل وتغيره تعاطي المسكرات أو المخدرات، فتناولها يغطي العقل ويحجبه عن أداء واجبه الذي خلق من أجله، فلا يعرف ماهيته في هذه الحياة، ولا يدرك وظيفته فيها، فيكون بذلك قد فرط في المحافظة على إحدى الضرورات التي أمر بصيانتها والعناية بها وعدم الاعتداء عليها.

يأهل التوحيد ..

لقد حرص أعداء الأمة الإسلامية شرقًا وغربًا وفي كل مكان على إفساد هذه الأمة، وهدم كيانها، وشل حركتها، والقضاء عليها، وضربها من حيث لا تشعر، وإفساد شباب هذه الأمة، ونخر أجسامهم وعقولهم، وقد ظهرت محاولة إفسادهم لشباب المسلمين بضرب كل ميدان ومرفق، بغزو نشطٍ ومكثفٍ من جميع الاتجاهات، ومن كل النواحي الثقافية والأخلاقية والفكرية.

ولعل سلاح المسكرات والمخدرات الذي صدره ويصدرونه إلى كافة المجتمعات الإسلامية، وتفننوا في إرساله بشتى الصور ومختلف المسميات من أكبر الأخطار المحدقة بالأمة التي تواجهها الشعوب الإسلامية، محاولة من أعدائها للقضاء على دينها وأخلاقها ومواردها.

إن تعاطي المخدرات يؤثر على الحياة الاجتماعية تأثيرًا سلبيًا، فانشغال المتعاطي بالمخدر يؤدي إلى اضطرابات شديدة في العلاقات الأسرية والروابط الاجتماعية. فكم مزقت المخدرات والمسكرات من صلات وعلاقات، وفرقت من أُوَّوَّةٍ وصدقات، وشتت أسرًا وجماعات، وأشعلت أحمقًا وعداوات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]. وإن جواً تنتشر فيه هذه الأدوية والمهلكات لهو جو يسوده القلق والتوتر، ويخيم عليه الشقاق والتمزق.

عباد الله ..

إن من يلقي بنفسه في سبب المسكرات يعيش كالبهيمة لاعقل له ولادين .. يسهل عليه أن يبذل كل غالٍ ونفيس، ويضحى بكل عزيز من أجل الوصول إليها والحصول عليها، حتى ولو كان ذلك من أضييق المسالك وأخطر الطرق، فقد يسرق أو يختلس، بل ويتخلى عن جميع القيم والأخلاق ليحصل على المادة التي يصل بها إلى ما يريد، ويسير في هذا المسلك الوعر إلى أن تضعف قواه الجسدية والعقلية، فيصبح غير قادر على العمل، فيكون عالة على أسرته ومجتمعه، وقد ينتهي به الحال إلى الإعاقة الكاملة أو التشوه، بعد أن يفقد كل مميزاته الإنسانية من عقل وخلق، ومقوماته الاجتماعية من عمل مثمر أو وظيفة نافعة أو صناعة رابحة، كما يفقد أهله وعشيرته وأصدقائه، وفي ذلك ضياع للفرد الذي هو كيان الأسرة ولبنة في قيام المجتمع، وإذا فقدت الأسرة كيانها حل بها التمزق، فيصبح بناء المجتمع هشًا ضعيفًا، لا يستطيع أن يقف أمام العواصف المعادية والتيارات الوافدة، ويصير فريسة سهلة لأي عدو يتربص به الدوائر.

ومن ثمار هذه الجريمة المنكرة ونتائجها المرّة الشدوذ الجنسي وجنون الشهوة الذي ربما وصل إلى نكاح المحارم والعياذ بالله. وهذا أحد الأساتذة يقول: كُلفت بالعمل بإحدى الدور التي تُدعى بدور الأيتام، وبدأت العمل فأحببت هؤلاء الأيتام وأحبوني، أطفالاً كأعمار الزهور، أوأنسهم وأُفرح قلوبهم، لكنه استوقفني طفل يتيم أراه دائماً مهموماً مغموماً كثير التفكير، وأجده أحياناً يبكي، بعد أن استوقفت أحد الباحثين النفسيين في الدار وسألته عن ذلك الطفل، وقلت: بالله عليك، أخبرني عن حال هذا الطفل، سكت قليلاً وقال: أرجوك لا تُخرجني، كررت عليه الطلب فقال: إن والد هذا الطفل كان يتعاطى المخدرات ووقع على ابنته ثم حملت، وحالتها النفسية سيئة جداً وأنجبت هذا الولد وهو كما ترى.

دمعي أمام جدار الليل ينسكبُ وجمرة في حنايا القلب تلتهبُ

وصورة لضياح العمر قائمة تسعى إليّ ومن عيني تقتربُ

ووحشة في فؤادي أستريح لها كأنني بين أهل الدار مغتربُ

قاتل الله المخدرات، قاتل الله المخدرات، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وعافنا اللهم مما ابتلي به الناس،

رحمك ربي.

فاتقوا الله يا عباد الله واعلموا أن من أعظم أسباب وقوع كثير من الشباب في وحل المخدرات هو إهمال الوالدين وسوء التربية، ومن أراد الدليل على إهمال بعض الآباء فليُنظر إلى الشباب وهم في الشوارع وعلى الأرصفة إلى ساعات متأخرة من الليل، بل . والله . لقد رأيت أطفالاً دون الثامنة وهم في الشوارع يذهبون ويجيئون إلى الساعة الواحدة ليلاً، لا حسيب ولا رقيب، يتعلم هذا الصغير والمراهق التدخين حباً للتقليد والاستطلاع، ثم سيجارة الحشيش، وهكذا تبدأ البداية بل قل: النهاية، فأين الآباء والأمهات؟! أين الحب والحنان؟! هذا طالبٌ في الصف الثاني المتوسط يقول: إن بعض زملائه يبيع عليه سيجارة الحشيش التي تكلف ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ ريال يحصل عليها من والده ووالدته وأخواته الكبار، ولم يعلم الأب بتعاطي ابنه لهذا البلاء إلا بعد دخوله دار الملاحظة.

وها نحن هذه الأيام نعيش أيام الامتحانات، فهناك من الطلبة من يعمد إلى تعاطي المنبهات أو المخدرات، وذلك لدفع النوم كما يظنون، أو النشاط كما يزعمون، ولكنها البداية النكدة لو كانوا يعلمون، فأين الآباء والأمهات عنهم!؟

ثم الوصية لأخواني الشباب أن يحذروا جلساء السوء مهما زينوا لهم الطريق .. فإن من أعظم أسباب انتشار وباء المخدرات والمسكرات بلا منازع وأكبرها بابًا في دخول الواقعين فيها أصدقاء السوء. نعم، عشرات التائبين والنادمين يصدرون قصصهم: وتعرفت على قرناء السوء، وأغراني أصدقاء السوء، وقال لي أصدقاء السوء: جرب... وهلم جرا.

وكما قال قال عليه الصلاة والسلام : " مثل المجلس الصالح .. " ..

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَمَرْنَا أَنْ نَتَعَاوَنَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى بِقَوْلِهِ: " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " .

فَمِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى أَنْ لَا نَدْعَ لِهَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ إِجْرَامَهُمْ، لَا نَدْعُهُمْ يَنْخَرُونَ صَفُوفَ الْمُسْلِمِينَ، لَا نَدْعُهُمْ يَتِمَكَّنُونَ مِنْ نَشْرِ بَلَائِهِمْ بَيْنَ الْأُمَّةِ، بَلْ نَأْخُذُ عَلَى أَيْدِيهِمْ نَصِيحَةً وَتَحْذِيرًا، ثُمَّ إِبْلَاغًا بِهِمْ حَتَّى لَا نَتْرِكَ لَهُمُ الْمَجَالَ وَاسِعًا. إِنَّ التَّسْتُرَ عَلَيْهِمْ وَإِخْفَاءَهُمْ وَإِخْفَاءَ عِيُوبِهِمْ وَتَرْكَهُمْ بِلَاءٌ عَلَى الْأُمَّةِ بِلَاءٌ عَظِيمٌ، يَسْتَشْرِي فِي الْأُمَّةِ حَتَّى يَصْعُبَ عَلَيْهَا الْعِلَاجُ، فَلَا بَدَّ مِنْ نَصِيحَةٍ لِمَنْ قَبْلَ النُّصِيحَةِ، وَكَشَفِ أَحْوَالِهِمْ؛ لِأَنَّ هَذَا بِلَاءٌ عَظِيمٌ. نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ بِلَاءٍ.